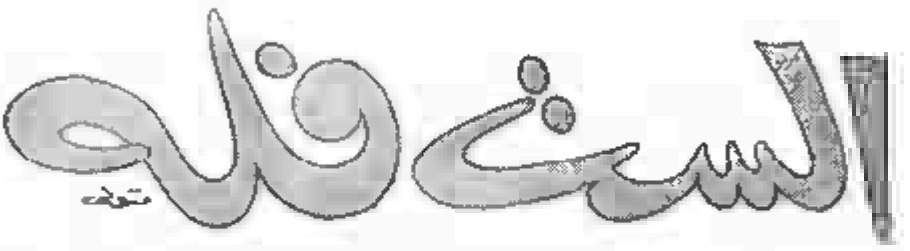

الفائزة بالجائزة الأولى لنادى القصة

بقلم : غنيم محمد غنيم

« .. ودخلنا الى رئيس القلم

يا ست دلة

نسأله عن الموضوع

وقال لنا .. ان التحرير سيشملنا
وانه كتب في حقنا تقريرا عظيما
ولا يبقى بعد ذلك الا موافقة المدير
ولما طلعنا للمدير .. ياست دلة
سلم علينا

وقال لنا ان اعمالك مرضية
يا سيد اسكندر
وتعريراتك جيدة
وعلاوتك يا سيد اسكندر
ثلاثة جنيهات
افرحي يا ست دلة
فسوف تتعشى وتتبجحي »

قال هذا ويده تداعب شعر دلة الحرير الناعم ، ونظرته كلها الهناء ، ودلة ليست زوجته فان زوجته قد فرت مع أحد الرجال منذ سنوات . لقد أحبها وقدسها ، واحاطها بالطهر والعفاف ، ولما تزوجها كذلك أحاطها بالطهر والعفاف ، لم يتخذ منها امرأة كما يتخذ سائر الرجال ، بل ظلت قديسة - القبلة تسمو عن صلة الجسد والرباط يترفع عن ان يكون ماديا ، فكيف يتحول ذلك الاحساس العطرى الأثيرى الرفيع ، كيف يتحول بطقوس تافهة فارغة ... يتحول في لحظة قصيرة الى نوع من التمزيق والشق والاعتصار كيف بكلمات سخيفة كاذبة يطلقون حيوانية الانسان بمخالبها وأنيابها وعرفها الشبق اللزج .

ولا يزال يقدم لزوجته صور العفاف والسمو في كل لمسة ، وكل نظرة ، وكل حديث - وانصح - بعد ذلك - ان حبيبته ليست قديسة كما اعتقد ... وفرت مع رجل .

دلة اذن قطة صغيرة من أطفال القطط .. مرحة عابثة ، جميلة عربدة الشعر ، صار السيد اسكندر يحدثها على النحو العابث ، الا أنها كانت عابثة الدهن عن الموضوع ، لا تتابعه بالاهتمام المرجو .. عيناها معلقتان بصرصور يسعى في ركن الردهة ، رقصت له أذنيها في تحفز .. واختلج جسمها الصغير النشيط ، وانطلقت من تحت كف السيد ، وهجمت على الصرصور

.. تداعبه مداعبة صديقة . ولبث اسكندر من الأريكة وحوى وراءها بسمها من الصرصور ، وأعادها الى حجره يؤنسها في نوبة وحنان .

« قلنا ان الصراصير لها التعثالين

كما أن الغيران لها السم

اما اذا حمنا نحن ... يا ست قلة

فلدينا الطلب ، ولدينا البقسماط

واذا طلبنا السمك ، نحضر السمك

واذا اشتهينا الدجاج والحمام ، فلن نتاخر ... يا ست قلة »

واستجابت قلة للحنان الذي أحسه يدره صاحبها ، فاتكأت على حاجبها ، وبدأت تناوش وتلاعب ، باسابيعها الشوكية الصغيرة ، جعلت تعض كف اسكندر ، وتضربه بأرجلها الصغيرة .. التذ بذلك ايما لذة ، وهي تدفع يده برجليها الخلفيتين .. لهما قوة طولية حنون .

لم يكن بالشقة غير اسكندر وقطته .. واسكندر موظف ، صوته رفيع ضعيف ، وهو متوسط الطول والنحافة ، وجهه مستدير مضغوط ، سمانه مرهفة هشة ، يحمي عينيه بمنظار أحمر قاتم كأنه أسود منظار كبير مستدير ، كأنما يريد ان يمنع العالم ... أن يكشف عن نفسه . واسكندر هذا منطو .. الطوائف الهرامية عن ضعف أسلحة ، ليس لديه شوكة ولا ناب ، غير ثورة حياشة في اعصابه يشعلها ضد نفسه ، فهي تاكله كما تاكل الطبيعة جسم الصخر ، تبريه وتنحاه وتؤثر كثيرا على عقله ، فهي تلحقه لحقا ، كما تلعق القطة بلسانها المبرد .

عواطفه كلها مسرحة بسحره للقطة .. مراقة عليها ، والقطة كذلك تحب صاحبها وتالفه كأنه قط .

كانت للسيد تهويمات تفك الرباط عن عقله ، فتتداعى اليه قصة روحته « لم تعصر في حقها

يا ست قلة

لكنها خانتنا ، وفرت مع عشيقها

وانت بالطبع لا تهمين معنى عشيقها

انه لص ... أصرى من اللصوص ...

ومع ذلك يحميه القانون

ويحترمه الناس به كأنه فاتح منتصر

ونصبح نحن تحت الأرجل ، يا ست قلة

لأننا لسنا عراة ، ولا منتصرين

نحن نقدم الحب ولا نقدم الدنس

وهي دنسه

انت لا تعلمين الدنس

انه بشع .. بشع يا ست قله

تريد ان تكون عبده ، مستعبدة

تحمل من جسمها قارورة للصديد

ونحن لا نريد ذلك .. لا نريده ، يا ست قله

وهكذا نرين ... أنا كنا في واد ، وهي في واد

وفرت دمعات من عينيه ، ووجست القطة ، فقد أحست بأن صاحبها حزين فاستجابت لشاعر الحزن وامتصتها واستكانت الى جواره ، وهو يمدها باحاسيس الحزن .

احست فله نمو يمرور الايام ، نموها تغيرت كما يتغير كل كائن ينمو ، واحس بذلك صاحبها .. تركت عنها الذى لم تكن تفتر عنه ، ومرحها وتعافرها في كل مكان .. اصبحت لها نظرات حالمة ليلة - لم يكد السيد اسكندر يولج مفتاحه في الباب حتى تكون بانتظاره راقصة الذيل .. تدور حول ساقيه في التصاق قوى حميم - تتمسح بهما تمسحا صروريا في دورات قصيرة ، ثم انها لم تعد تعانث بهروبها حتى أراد أن يمسك بها .. كانت تستكين للمسة .. وتظهر خضوعا للمسكة .. وتستحلى ..

أحد اسكندر يرتاب ارتيابا داخليا مبهما لهذه التصرفات .. ارتيابا لايدرى له سببا محددا .. أحدث نمو مواء غريبا ، يكاد يفصح ويبين فيصير كلاما ، نظرها كانت تنطق لكن السيد كان يصرف انتباهه ويقسر ذهنه على ألا يبحث .

المسألة صارت مريبة ، حتى لمسته المذاعة اصبحت تضعها في وضع لم يكن من قبل ، فتأخذ في مواء ضعيف متهافت وتمدد ظهرها ، وترمي بساقيها الى الخلف وتتطلع الى السيد .. وصارت تتحكك بسيقان الموائد والكراسي .. والواضح أن اسلوب الطلب لا يحتاج الى اناقة .. يكفي الكائن أن يريد فتتحدث جوارحه بما يريد حديثا بليغا مفيدا لا يخطئه ملاحظ أبدا . رغم هذا كان السيد يتجاهل

الا انه كان أمام الامر الواقع حينما رأى دكور القطط تتجمع على بابه ، ودكور على سلمه .. دكورا بغيضة ضخمة الرأس ، بادية الجسم .. كان يطردها اذا جاء بلا تمهل وبلا رفق .

ولا يكاد يفتح الباب حتى يجد فلة رابضة الى جواره ، تتمسح بساقه حينما يدخل ثم تحاول أن تفلت منه الى الخارج - فيسرع الى اغلاق الباب .. ويداعبها - وهو يحفى غيظه ، فلا يجد منها غير النظرة الحائرة الساهية ، والتمطى والتمرغ المستسلم .. فيعمد الى الترفيه عنها ، وتقديم مزيد من اللبن والطعام والحلوى ، ويحاول أن يسليها .

« آه ... لقد كبرت يا ست فله

ونحن نخاف عليك من التسلل الى الخارج

تعرست هذه النمور الرابضة

يا ست فله

وانت رقيقة مرفهة

ليس لك قبل بوسائلها الشريرة الوحشية »

وكثيرا ما كانت تعاف الطعام والحلوى وتدور في الحجرات تموء مواء حائرا مرتعشا .. حتى اذا سمعت نداء خارجيا من قط رابض ، قفزت بسرعة الى الباب واخذت تحبه وهي تتمسح بخشب الباب ، وتموء مواء مرتعشا كأنها تستكين من أعماقها رغم ساحة صدقي ، وترجع الى صاحبها تستجديه وتستعطفه ، تطلب منه أن يفتح الباب .

حينئذ تشتعل نيران الغيرة في قلب اسكندر ، وتتقلب في داخله عاصفة متلفة هوجاء ، فيحمل هراوة ويخرج الى السلم يطرد القطط .

وكان قط عجوز ضخم الراس ، أعور العين ، بادى الاجرام والشراسة هو الذى يداوم على الحضور ويربض الى جوار الباب ، يساجل قطته ويعاديها .

ذات يوم غافلته القطة فتسللت من بين ساقيه فى خفة ، ولم يشعر بها الا وهى تتحدر على السلم ، يتبعها ذلك الذكر الضخم الأعور ، فى تحفز وتوتر وذكوره ، رافعا أذنيه ، مشرئبا برقبته ، واعضاؤه كلها متصلبة . ولم يكد الذكر يشب اليها وهو يعوء هواء متهددا ، ويشب أنيابه فى قراء رقبتها حتى هجم عليه السيد واستطاع أن يستخلص قلة ويحتضنها فى صدره ، ويصعد بها ثانية ، متجاهلا جهودها فى الخلاص والتملص .

وضعها على حجره ، وأخذ يرتب شعرها الناعم الحرير حتى هدأت ..

- ثم ماذا ؟ يا ست قله

ثم ماذا ؟

هل ستتحدرين الى الصف السفلى يا ست قله ؟

كنا عاقلين ومؤدبين نحيا فى سعادة

ماذا يملك لك ذلك الحشور الأعور ؟

ماذا عنده لك يا ست قله ؟

أهو يقدم لك الحليب الدافىء والبقسماط ؟

هل يملك لك البطاقة والابواء ؟

انه ضائع صعلوك متشرد

ما لك وهؤلاء يا ست قله ؟

انه سفاح قاتل مشوه

مالنا نحن والسفاحين المجرمين

نحن فى حالنا يا ست قله

انا لا أقصد شيئا

انا أريد أن أحميك

أنت عزيزة سادجة يا ست قله

لا تعرفين ما يضرك مما ينفعه

وأنا اهديك .. أنا مجرب

جربت يا ست قله

هل تشكين فى حبى لك ؟

لماذا تعاقبينى وتتسللين

يا ست قله ؟

* * *

واصبح ذلك الذكر الحشور عريسا للسيد اسكندر .. يحمل له ما يحمله لأى عريس من الغيظ المكبوت والحقد .. يعالم لمرآه ، ويشعر أمامه ذلك الارتباك النفسى الذى يستشعره امام أى عريس عدو من البشر .

لم ينثن عن التردد ذلك الذكر الأعور رغم طرده المتكرر .. عواؤه على ابواعه ، من مناجاة الى طلب صريح كان يتسلل الى مسمع السيد فتهب فى اعماقه عاصفة الحقد والغيرة والغضب .

بعد ان فرت قلة ، كان السيد يحرص على ان يحبسها فى حجرة من الحجرات حتى لا يمكنها من أن ـ تتسلل حينما يفتح الباب .. كان يسمع اظافرها وهى تعالج المنافذ .. تحتش الباب ، وتتعلق محاليها اسفله ، تحاول أن تمد رجليها من تحت عقب الباب ، ويجدها اليهما فى محاولات يائسة وتشنج صلب .. تنشب اظافرها فى عقب الباب وتعررها ثم تجدبها حتى لتكاد تقلع من أصابعها المتصعة ثم تأخذها ـ احيانا ـ موجة عنوانية من الوهاء فكان يضطر لاطلاقها فى كثير من الأحيان .

وتربص لهذا الذكر الصيد الصفيق

القـــدر ... وخرج اليه بهراوته ذات يـــوم ، لم يفر القط حين رآه ... بل تململ في كبرياء ، ونظر الى الرجـــل نظرة مبطنة محتقرة ، كهربت أوصاله كأنه يعلم كل شيء ... ويعانده ، يريد أن ينتصر عليـــه ، وأن يدحره ويذله ، ويسلب منـــه القطة العزيزة بعينه هذه القاسية ، وكبريائه وصلفه ... ونبضت شرايينـــه بحنق كالنار ، واشتعلت دماؤه وصعدت الى رأسه ... لم ير الدنيـــا ولم يشعر الا بالتماعة خيوط الدم في اصطرامهـــا المتمرد ، ورفع الهراوة وهـــوى بها على رأس القط بكل قوة العيظ والحقد والغيرة ...

ورفع القط اليه عينا مفترسة وحشية محتضرة وانقلب على الارض يموء مواء الموت ، مواء مرتين بصوت مرتفع مذعور عـــاية الـــذعر ... وقام يحـــاول الفرار فلم يستطع اذ انقلب مرة أخرى ... قام على سيقانه وحاول ان يمضي فتعثر تعثر السكران وهوى مرة أخرى وهو يخرج صوتا هو الى الصراخ الآدمي اقرب ... أخذ يدور على نفسه دورات وحشية مذهولة محتضرة وذيله مقوس منتفش كأنه محنوق ... له بشاعة حية ضاربة ذات صل ...

داخل السيد الرعب الحقيقي من رؤيا الموت ، وسماع مواء القط وهو في النزع الأخير ، ودوراته الوحشي الرهيب ، فرفع عراوته مرة ثانية بقوة الرعب هذه المرة ، وهشم عظام القط نهشيما .

مرت أيام بعد ذلك ، شابت فيها حركات السيد ولفتاته شائبة من الهوس ، تنم عن سلوكه نزوات الهياج وحالات الضغط ، وأصبح مهموما لا يدري لهمه سببا مضبوطا ، وتكاثرت عليه أطياف بغيضة لحوادث مرت وتركت فيه آثار جراح ورصوص نفسية ، وهي روحه تدوب أظفار وأنياب ، والتصق مواء القط المقتول بأجهزته الحسية ، فصار يسمعه بلا انقطاع .. كما تعلق رائحة قوية نفاذة بثوب ، لا تزول منه أبدا .. كان ذلك المواء ، ولم يعد اسكندر يهتم كثيرا بالهرة التي أصابت قطته ، لكنه كان يمنعها من الخروج باصرار وتحكم .

ذات يوم عساد .. فتح الباب ، لم يسمع حركة ولا صوتا ، وفتح جميع الابواب .. لم يجد القطة .. اضطراب السيد ، واضطربت حركاته ، وصار في بحثه عنها يحبط الاثاث ، ويوقع بعض الانية الى الأرض .. نظر في كل مكان ، وكل مكان ، ولم يجد شيئا .

استنفد البحث طاقته حتى كل ، فوقف يلتقط انفاسه .. اصيب بالخذلان والهبوط ، فرحف الى الباب الخارجي أحد ضمد نظره ويصوته في السلم .. كان الصمت له ثقل ونتن على حواسه .. صمت مليء بالمهمهمات والألغاز والاسرار ، أخذت تتراكم على كل السيد اسكندر .. ومواء القط المقتول يطغو على مشاعره جميعا ،

مكث السيد غير قليل على بابه المفتوح حتى فرت دميعات من عينيه .. أخيرا تراجع كجيش منهزم منسحب عبر المعركة الفاصلة الأخيرة ، وانهزم وتراجع الى الشقة يتمتم وهو لا يشعر .

« حتى انت

يا ست قله »

دخل الى حجرته لا يلوي على شيء ، وهناك وجد صورته في مرآة الدولاب .. صار يقترب ويقترب ويتفرس في صورته المهوشة .. ومنظاره العاتم المستدير الذي يخبيء نصف وجهه الصامر المضغوط .. اقترب حتى احس بصورته احساسا جادا وطفق ينظر الى شبحه المتهدم المخذول .

يضحك هذا ؟

يا سيد اسكندر

لقد فرت

فرت يا سيد اسكندر

أكنا نمنع عنها شيئا

هل أسأنا اليها فاغتاظت ؟

لماذا فرت ؟

لماذا يا سيد اسكندر ؟

أهذا يرضيك ... ؟

يرضيك أن تفر

هي الأخرى ... ؟

ومضى على ذلك النحو ، يتساءل ، ويتأمل ...